نصوص تكميليّة

كيف فهم المسعدي الوجوديّة ؟

عرَّف المسعدي الإنسان الوجوديَّ تعريفا خاصّا نابعا من رؤيته الشّخصيّة لِمنزلة الإنسان في الكون، فربَطَ مفهومَ الوجوديّة بالالتزام في مفهومه الوجدانيَّ وقال :" إنّ الإنسان الواعيَ في حاجة إلى أن يؤسّس نشاطه الحيويّ، ويُقيم جميع حركاتِه وسكناته على أسس المعرفة البيّنة واليقين من نفسه ومن الكون ومن نوعِ صلاته بالكيان والكون. هو في حاجة حيوية إلى أنْ يعرف ماهيته كإنسان، وما هي أغراضُ نشاطه وطرائقه، وما هي غايات حياته،وما هو مصيره النّهائيّ، وما هي منزلته في الكائنات، وما هي علاقة نشاطه وفعله بتلك المنزلة. فالتفكيرُ الوجوديُّ يصبح على هذا المعنى لزوميا للحياة (الحياة الّتي تتجاوز الحيوانية إلى الإنسانية أيْ إلى الوعي والمسؤولية) "...

وهكذا تلتقى مؤلّفات المسعدي بالوجوديّة في معاني الإرادة والحريّة والفعل والمسؤولية والعبث والقلق.لكنّها تختلف عنها في عدة نقاط جوهريّة أوّلُها أنّ الحريّة الإنسانيّة التي يدعو إليها المسعدي حرية اعتزالية لا سارترية، وبالتّالي فإنّ مفهوم المسؤولية الناتجَ عن تلك الحريّة هو غير المفهوم الوجودي الملحد. فلا شكّ أنّ الإنسان في نظر المعتزلة حرّ في اختيار أحد النّجدين -طريق الخير وطريق الشّرّ–وأنّه قادر على تكييف مصيره بنفسه، لكنّه مسؤول عن أعماله أمام اللّه وليس أمام البشر، وحريتُه هِبة من الله وليست من خلقه .لذلك أقرّوا مبدأيْ الوعد والوعيد والعدل. فالأولُ يجعل اللّه صادقا في وعده، صادقا في وعيده والثاني يثبت عدله في جزائه وعقابه.وهو عدل ناتج عن تخيير الإنسان ووضعِه أمام مسئوليته بخلقه حرّا. وأكّد محمود المسعدي هذا المعنى في ردّه على طه حسين قائلا:" فإذا كانت الذّاتُ الإنسانية محدودةً من جانب فهي من جانب آخر ومن قبل اشتقاقها ونبوعِها من قدرة الله قابلة للانطلاق. فاللّه عندما نفخ في الإنسان من روحه وَضَع فيه الخاصيّة الجوهريّة الفريدة الّتي تتّصف بها طبيعتُه الإلاهيةُ وجعله صورةً مصغَّرة من ذاته الربّانية المطلقة وأراده بذلك أن يكون علة شخصيّة قادرة على العمل والخلق والفعل الغائيّ (لا الفعل المجانيّ العابث) بما أَوْدَع فيها من إرادة حرّة. تلك في الوجود منزلة الإنسان خالقا لمصيره بيده خلقا حُرًّا "...

وهكذا انطلق المؤلّف من الوجوديّة في مبادئها العامّة لكنّه كيّفها برؤية إسلامية أساسُها بعض أركان الاعتزال. ثمّ تدرّج بها –خصوصا في نهاية كلّ أثر قصصيّ –إلى حالات صوفية عميقة يتمّ فيها الاتّحادُ والاتّصالُ بين الإنسان وربّه.

وهذا الجانب الصّوفيّ في شخصيّة كلّ الأبطال واضح جدّا،يظهَر في اللّغة والمواقف، وفي التّوضيحات الّتي قدَّمها المؤلف بنفسه. فرحلة أبي هريرة مثلا تنتهي إلى مِعْراج نحو الأبد . والهاتف الّذي سمعه فوق الجبل كان يردّد عبارات "الحقّ"و" الحبّ " و" الشّوق" و"الكشف" و" الغيب" و" الأزل". ولمّا سمِعه أبو هريرة انتشى وصار "يغنّي وكأنّه النّارُ اتّقدت أو اللّهُ ينادي في الكون بالبعث :

أيا حقّ لَبَّيْـك	تباركتَ لبَّيك
حبيبي جَلاَلَيْك	أنا الآن إليـك

ثمّ ينزل بفرسه في الهاوية، ويجد رفيقُه أبو المدائن آثارَ الدّم فوق الصّخور وهو بذلك يلتقي مع الحَلاَّج الّذي يعتبر موتَه حياةً حقّ في قوله.

اقتلونـي يـا ثِقاتـي	إنَّ فـي قتلي حَيَاتـي
ومَماتي فـي حيـاتـي	وحياتي فـي مماتـي
إنّ عندي مَحْوَ ذاتـي	مـن أجلِ المكرمـات
وبقـائي فـي صَفاتـي	مـن قبيح السيّئـات

ولم يبلغ أبو هريرة هذه " الحال" إلاّ بعد مشقّة وعسر شديد.

محمود طرشونة –الأدب المُريد في مؤلّفات المسعدي الطبعة 2 /1980-ص ص 49/45

بين البعث الأول والبعث الآخر

بين البعث الأوّل والبعث الآخر ينغلق النصّ على ذاته ويتّصل أوله بآخره، وكأنّهما يكوّنان متن الكتاب، وبقية الأحاديث حواشيه فهي توضّح وتفسّر. حياة تمتدّ لكنّها تتّخذ شكلا دائريا، فنقطة الوصول فيه هي نقطة الانطلاق. والانطلاق هو الوصول أو الوصول هو الانطلاق. كذلك حياة الإنسان يولد ويموت فكأنّ شيئا لم يكن. وكذلك حياة أبي هريرة كما أخبرنا عنها هو والرّواة الآخرون وإنْ لم يلتزموا جميعا بالخطّ الزّمني بل كانوا ينتقلون بين الماضي والحاضر والمستقبل فيقدّمون اللاّحقَ من الأحداث على السّابق ويذكرون ما سيكون قبل أن يذكروا ما كان. وهذه كما هو معروف تقنية من تقنيّات القصّ تطلّبها الشّكل الفنّيّ للأحاديث. إلاّ أنّنا نعرف أنّ أبا هريرة قد تخطّى الأربعين سنّ الرّشد والوحي" لقد ذهب لي اليوم فوق الأربعين من السّنين وقد آن الرّشد". وقد جاء في القرآن : "حتّى إذا بلغ أشدّه وبلغ أربعين سنة" *. سنّ الرّشد هل هي سنّ البداية أمْ سنّ النّهاية؟ هي في الحقيقة هذه وتلك. أربعون سنة عاش فيها أبو هريرة تجاربه في الحياة : تجربة الحسّ والحبّ في عنفوان الشّباب وتجربة الحيرة في النّاس عندما تقدّم في السّنّ وتجربة الحيرة في اللّه والعشق والفناء عندما وصل الى سنّ الرّشد حسب ترتيب المسعدي في قراءته لنصّه .والتأمّلُ في مسيرة أبي هريرة هو تأمّلٌ في الزمن كما فهمِه الفيلسوف الفرنسي "برگسون" الّذي ميّز الزّمنَ المَقِيس Le temps من الزمن المعيش. La durée فالأوّل هو ما يقاس بالساعات والأيام والسنوات،والثاني هو ما يعيشه الإنسانُ ويحسّ به في داخله. فالصّلة بين حديث البعث الأول وحديث البعث الآخر هي صلة تحيل على هذا المفهوم للزمن.

أربعون سنة مرّت كيوم واحد أو لِنَقُلْ يوما واحدا طولُه أربعون سنة "تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة " **. حدّث أبو هريرة في البعث الأول قال : "جاءني صديق لي يوما فقال : أحبّ أن أصرفك عن الدّنيا عامّة يوم من أيّامك". وحدّث أبو المدائن في البعث الآخر فقال :" جاءني رسول أبي هريرة يوما يقول إنّه يدعوني لساعته فأسرعت إليه ...ألك في يوم ليس من الدّهر ؟ قلت ومتى كان الدّهر محدودا فنخرج عنه ؟ قال : لقد كان منذ اليوم " هذا اليوم بدأ في حديث البعث الأوّل عند الفجر " فلمّا كان من الغد سبق الفجرَ إلي وكنت لا أعهده مِبكارا" وانتهى في حديث البعث الآخر عند الغروب "فلمّا كان الغد جئته في ساعته وأنا طاهر كعادتي قبل الغروب" وبين فجر هذا اليوم رمز الولادة والبداية والانبعاث وغروبه رمز الفناء والنهاية،دارت كلُّ الأحداث التي "زخرت بها الأحاديث،فهذا اليوم ليس كسائر الأيام التي تقاس بالدّقائق والسّاعات، إنّه يوم "ليس من الدّنيا" وليس" من الدّهر". في هذا اليوم نشط أبو هريرة من الفجر إلى الغروب عندما لبّى الدّاعي والهاتف نحو الشّوق والحقّ والحبّ المطلق. في هذا اليوم عاش أبو هريرة تجاربه الوجوديّة فكان مثالا لمسيرة الإنسان في عمله اليومي، وفي هذا المعنى يقول الشّاذلي القليبي حول كتاب السّدّ"المطلق لا يبلغه الإنسان إلاّ في منعرجات الكفاح، العمل اليومي..." وهل لأبي هريرة مطلب سوى طلب المطلق...

ما صلة أبي هريرة بالآخرين ؟

إنْ كان أبو هريرة يمثّل مَسيرة الإنسان وقصّته في الحياة فإنّه قد بدا لنا في النّصّ من خلال صلته بالآخرين متعدّدا جَمْعا لا واحدا مفردا. وإنْ كانت علاقتُه بهذا الآخر تختلف قوّة وضعفا فإنّ التمايز بينهما واضح. لعلّ من أقواها علاقته بأبي المدائن ومن أضعفها علاقتَه بأبي رِغال، لذا سنحاول النّظر في هاتين العلاقتين من خلال صلة أبي هريرة بالرّجلين.

* صلة أبي هريرة بأبي المدائن: يبدو أنّ أقرب الناس من أبي هريرة هو أبو" المدائن فعددُ الأحاديث الّتي رواها أبو المدائن عنه تفوق كلّ المحدّثين حتى أبا هريرة ذاته وأنّ هذه الصّلة نشأت منذ الصّغر " أتذكّر صبانا " وامتدّتْ إلى فترة الشّباب " أتذكر يوم التقينا على حبابة المغنية" وتواصلت إلى نهاية أبي هريرة فكان شاهدا على هذه النّهاية في حديث البعث الآخر. والعلاقة متينة بين الرّجلين. فهو من خاصّته " حدّث أبو المدائن وكان من خاصّة أبي هريرة". وهو كثيرا ما ينزل ضيفا عليه، يعرف زوجته ومنزله حتّى أنّه أهداه ضيعة، فقد ذكر أبو هريرة في حديث البعث الآخر مخاطبا أبا المدائن " أتعلم أنّي اشتريت لي ضيعة أخرى ؟ قلت على بركة اللّه : قال : نعم على بركة اللّه... وأمّا الأولى فقد جعلت فيها مَنْ يُحبلها حتّى تلد وكتبتها لك". كلّ هذه العلامات الّتي تدلّ على ودّ وصداقة وانسجام بين الرّجلين تجعلنا نعتقد أنّ أبا المدائن هو وجه من وجوه أبي هريرة. لكنّ هذه العلاقة تخفي في الحقيقة تناقضا بين الرّجلين.

فأبو المدائن تاجر مطلبه الكسب. هو منزّل في واقع الحياة يمارس شؤونه حسب العرف والعادة ويؤدي طقوسه

الدينيّة ويعيش واقعه لا يشعر بحيرة ولا قلق. أمّا أبو هريرة فنراه مستخفّا بصاحبه الحريص على الدّنيا. وهذا وجه من وجوه المقابلة بين الرجلين،المقابلة بين الحرص على الدنيا والانصراف عنها. فأبو هريرة يسعى إلى كسب معنوي لا يريد أن يربح مالا بل يريد أن يحقّق وجود ا،أنْ يعثر على معنى لوجوده، لذا نراه وهو في أوج الفاجعة لا يتخاذل ولا يضعف ولا يخاف بل يضحك طوال الرّحلة وهذا من سمات البطل المأسوي. نستنتج من كلّ ما تقدّم أنّ أبا المدائن وإنْ كان نقيض أبي هريرة فإنّه في حقيقة الأمر يمثّل صورة منه أو وجها من وجوهه، فأبو المدائن هو أبو هريرة الدنيوي الأرضي الرّاضي المطمئن، هو العربيّ المسلم الّذي يؤدّي واجباته دون بحث و لا سؤال. ونعود إلى صاحبنا الغزالي فنقول إنّ أبا المدائن يمثّل النّوع الأوّل من تصنيف الغزالي للإنسان في مجاهدة الهوى " أن يغلبه الهوى ولا يستطيع له خلافا وهو حال أكثر الخلق".

*أمّا أبو هريرة فهو النّوع الثّاني من إنسان الغزالي في مجاهدة الهوى "أن تكون الحرب بينهما سجّالا ... فهذا الرّجل من المجاهدين". نعم من المجاهدين، انظر إليه في "حديث الغيبة" تطلب فلا تدرك "مع ظلمة "حدّثتني ظلمة قالت: أوّل عهدي بأبي هريرة يومَ طرق علينا بالدّير وكان قليلاً مَنْ يطرق علينا لمنعة الجبل وشدّة الدّير وعسره وانفصاله عن الأرض..." وتختم الحديث قائلة : " ثم هبطنا الأرض". طلب أبو هريرة الألوهيّة فتولّت ظُلمةُ " تطهيره" فإذا به يدنّسها ويهبط بها إلى الحيوانية واستمرّ في حيرته "وكنت ممّن ذهب إيمانُه فجاءت حيرته" فكان لا يستقرّ بل " كان أبو هريرة كالماء يجري. لم نقف له في حياته على وقفة قطّ، كالمستعدّ إلى الرّحيل لا ينقضي عنه الرّحيل".

* أمّا أبو رغال فقد ظهر في حديث الحكمة. رجل" كالنّاسك " "مطرق ساكن" كالبيت الحرام " هو في عظمة الفيل وعليه سمة الحكمة والجلال" وهو عارف " بقصة الحكمة " هذه رواها لأبي هريرة عندما التقى به وطابت له صحبته "حتى جاء الخريف وقد طابت لي صحبته فلمّا أخرفنا ..." أي تعارفا عندما دخلا في خريف الحياة وتقدّمت بهما السنُّ وكان أبو رغال آنذاك يعيش خارج الزّمن بعد أن مات أكثر من مرّة وانبعث أكثر من مرّة. يقول محدثا أبا هريرة " نعم هو قبري وقد مرّ عليه رسول اللّه وكانوا يقولون أنت سيّدنا وخليفة اللّه فينا " " فلما ضاع ظلي جئت البحر وخلوت إلى الحكمة " .خَلا إلى الحكمة بعد أن جرّب النّاس وخبر الدنيا وتأمل في الحياة والكون وفكّر حتى أصيب بالجنون أو كاد وقد كان يقول لأبي هريرة " وإنما أردت أن تعلم أنّك أنا وأنّي أنتَ وأنا نحن وأنا غيرنا..." فهو إذن وجه من وجوه أبي هريرة لم يقدر على معاشرته والالتحام به والحلول فيه فكانت العلاقة بينهما ضعيفة، وفي هذا يقول أبو هريرة في خاتمة حديثه : "وأردت الانصراف فقال : أُحبّ أن تصبر حتّى أُهْدِيَك شيئا. ثم غاب في الجبل فجاءني بقلم وقرطاس وقال : قد تحتاج إليها يوما فتجعل عليها خطوطا ودوائر في وسطها بياض. فأخذتها وانصرفت مظلم العقل والقلب". فأبو رغال هو النّوع الثّالث من إنسان الغزالي" أن يغلب هواه... وهذا الملك الكبير والنّعيم الحاضر والحرّيّة التّامة والخلاص من الرِّقّ". لهذا كلّه لم يَقْوَ أبو هريرة على البقاء في تلك الحال كما لم يَقْوَ أبو العتاهية على السلوّ عن الدّنيا ولم يبلغا ما بلغ الغزالي بعد مجاهدة النّفس ومغالبة الهوى والخروج من الحيرة والشكّ. وخلاصة القول إنّ أبا هريرة وأبا المدائن وأبا رغال نسخ لأصل واحد هو الإنسان. فأبو هريرة يمثل الإنسان الواعي بمنزلته في الكون وبمصيره، السّاعي إلى تغيير هذا الوضع والمجاهد لتجاوز مأساة الصّراع الّذي يعيشه بين الحيوانيّة فهو أبو المدائن وبين الألوهية فهو أبو رغال.

ذاك هو الإنسان في منزلة بين المنزلتين لا يستقرّ على حال وذاك هو أبو العتاهية يردّد فاتحة كتاب "حدَّث أبو هريرة قال..."

"طلبتُ المستقرَّ بكلّ أرض فلم أر لي بأرض مستقرّا ".

عمر بنور : من خبر مخارق في الأغاني إلى حديث البعث الآخر في "حدث أبو هريرة قال..."
مجلّة رحاب المعرفة السنة 5 عدد 30 نوفمبر –ديسمبر 2002 ص ص 56/58

* سورة الجاثية الآية 15

** سورة المعارج الآية 5

التصدير في " حدّث أبو هريرة قال . . ."

التصدير ظاهرة فنيّة شديدة الحضور في كتابات المسعدي لم يخلُ منها أثر من آثاره الثلاثة : "السدّ" و" حدّث أبو هريرة قال..."و "مَوْلد النّسيان"، إلاّ أنّ " حدّث أبو هريرة قال..." تفرّد بكثافة التّصدير وتواتره. فلم يقنع فيه المسعدي بما فعل مع "السدّ" و"مولد النّسيان" حيث اقتصر التصديرُ فيهما على "الفاتحة "، بل لقد جعله يتخلّل طوايا الكتاب في مفتتح أطوار تجربة أبي هريرة ومنتهاها وفيما بين هذين الطرفين من مغامرات.

تضمّن "حدّث أبو هريرة قال..." خمسة عشر شاهدا توزّعت على الفاتحة واثني عشر حديثا .وقد نسب الكاتب هذه الشواهد إلى أعلام في الشعر والأدب والفكر والفلسفة ما عدا اثنين منها أخذ أحدهما من القرآن وثانيهما من الحديث النّبوي.

أمّا مؤلّفو شواهد حدّث أبو هريرة قال..." فهم متنوّعو المشارب مختلفو أدوات الكتابة فمنهم الشاعر (بشّار،أبو نوّاس،أبو العتاهية،عمر الخيام،إبسن) والنّاثر (أبو حيّان التّوحيدي، ابن عبد ربّه)والفيلسوف (الغزالي) والمتصوّف(الراغب الجرجانيّ) والمسرحيّ (بوبير)، وهم كذلك مختلفو الأجناس والعصور فمنهم العربيّ والفارسيّ والأوروبيّ.

ويمكن أن تنتظم اختلافهم هذا ثنائيتان: الشرق والغرب من جهة والأصالة والمعاصرة من جهة ثانية. والمتأمّل يجد الشقّ الأوّل من كلتا الثنائيتين (الشرق /الأصالة) أوفر حظّا من حيث انتماء أصحاب الشواهد. فمن بين الأحد عشر علَما الذين نسبت إليهم الشواهد لا نجد ممّن ينتمون إلى العالم الغربيّ الحديث سوى شخصيْن...

والتّصدير رحلتان : رحلة النصّ إلى ماضيه البعيد،إلى ما سبقه من نصوص ورحلة النّصوص الأمّ تحضن النصّ الوليد : " لا يستطيع الاستشهاد أن يكون موضوع الكتاب وإنّما حَسْبُه أنْ يمنحه المنطلق والمهرب..."

تلك هي وظيفة التصدير الأولى، أن يكون مجاز التناصّ وشاهدا على تداخل النصوص في " حدّث أبو هريرة قال..." وهذا التداخل ليس واقعا ماثلا فحسب بل هو أيضا واقع واجب الوجود لا يرى المسعدي الكتابة الأدبيّة بمنأى عنه.وحَسْبُنا في ذلك أن نعود إلى قراءة مقدّمة الكتاب ففيها حديث من المؤلّف إلى قارئ الكتاب يشير عليه بضرورة أن يستحضر لفهم أبي هريرة بعضَ النّصوص القديمة. فلنستمع إليه : " وقد يحتاج أبو هريرة عندك إلى التّعريف ولست بمعرّفه لك.وإنّما لك من شأنه ما قد يقع بنفسك عند انتهائك من هذا الكتاب، ولْتذكرْ بيت أبي العتاهية.

" وأيُّ امرئ في غايةٍ ليس نَفْسُه إلى غايةٍ أخرى سِواهَا تطلّع"

...إنّ كثافة الاستشهاد في هذا التّمهيد وما رافق نصوصه من تكرار لفعل الأمر "لتذكر" يدلاّن بوضوح على أنّ هذه الشواهد برنامج للقراءة يطلبه صاحبُ النصّ من قارئه .وليست القراءة هنا استكشافا من فراغ بل هي إلى حدّ بعيد تذكّر واستحضار نصوص أخرى يرغب الكاتب أن تكون نقطة التقاطع بينه وبين القارئ .ومن هذه النقطة ينطلق القارئ ليصل إلى الكاتب والنصّ لكنّ الكاتب أيضا من هذه النقطة ذاتها انطلق ليصل إلى القارئ والنّصّ.

فهذا التّمهيد هو بمثابة تعاقد يبرمه الكاتب مع القارئ ويبني على أساسه صرح التواصل بينهما. فمن لا يذكر تلك النصوص كما يذكرها الكاتب ومن لم يتشبّع بها كما تشبّع الكاتب، لن يقدر على قراءة النصّ لأنّ القراءة المرجوّة ليست صِنْوا للتلقّي السلبيّ الخطّي بل هي كتابة أخرى تتناصّ والقراءات السّابقة.

لذلك فإنّ شواهد التصدير ليست تزويقا ولا تفسيرا وتبسيطا للدلالة فحسب بل هي كناية عن رؤية المسعدي إلى الكتابة والأدب : نصوصا تتخلّق من نصوص، وجديدا ينبثق من ذاكرة القديم، إنّها القديم يحيى والجديد يتعتّق...

فإذا تأمّلنا الشواهد التي أوجب المؤلّف استحضارها قبل الدّخول إلى الكتاب، ألفيناها متعدّدة الأجناس فيها الشّعر والنصّ المقدّس والفلسفة، تجمع بين الشّرق والغرب والإسلام والمسيحيّة والإلحاد في غير ترتيب ولا مفاضلة وإنّما ملتقاها الإنسان مطلقا وقد تمحّض ذاتًا تعاني آلام الوجود وخلف كلّ ذلك ذات أخرى تعيش الألم الواحد ألميْن : ألم الوجود وألم الكتابة، وهي حين تتحدّث عن مغامرتها لا تجد لها فضاء غير الإنسان الكاتب عامّة : "ستذهب هاته الصحائف فتمضي وتمّحي فهي أنفاس قد ذهبت ولها ريح ما يَبْلَى ويأكله الدّود كجميع الّذين كتبوا من قبل، يظنّون أنّهم خلّدوا وأماتوا الموت. وما خلّدوا، وإنّما هي آلام الإنسان يترامى صداها من قرن إلى قرن ومن جيل إلى جيل".

آلام الإنسان واحدة ونصوص الأدب أصداء تختلف لغاتها لكنّ جوهرها واحد : نقل صيحة الولادة ...

ذلك هو الدّرس الّذي يعلّمنا إيّاه التّصدير في "حدّث أبو هريرة قال..." يتردّد في طوايا الكتاب، يذكّر القارئ بالعقد الّذي أبرمه معه المؤلّف، لا يني يلحّ على أنّ النّصّ المفرد جمع من النّصوص والعالم البكر عوالم شتّى والقراءة الأولى قراءة تختزل قراءات كما الكتابة تدوين فوق كتابة سابقة.

فهل ثمّة مجال لأن نقرأ " حدّث أبو هريرة قال..." قراءة تقسّمه إلى ثنائيّات متضادّة تبحث فيها عن الصّراع بين الشرق والغرب والأصالة والمعاصرة والقديم والحديث ؟

لقد بيّنت لنا دراسةُ خصائص التّصدير ودلالاته أنْ لا إمكان لهذه القراءة إذ أنّ التداخل بين النصوص ليس سمة للكتاب وحسب،بل هو مكوّنه الإبداعي وعقده القرائبي. فالتناصّ بين نصّ التصدير ونصّ الحديث إشارة ظاهرة إلى تناصٍّ آخر خفيّ داخل النّصّ ذاته : تناصّ بين الأجناس الأدبيّة شعرا ونثرا وقصصا ومقالة، وتناصّ بين الثقافة الشرقيّة والثقافة الغربيّة، وتناصّ بين فعل القراءة وفعل الكتابة، وتناص بين الذات والآخر والمبدع والمتلقّي ...وكلّ قراءة تبتغي أن تلتحق بذرى النّصّ الإبداعي، لابدّ أن تنظر إلى هذا التناصّ في حركته وفعله لا في ثبات أطرافه وسكونه.

محمد آية ميهوب– التصدير في حدّث أبو هريرة قال... مجلة رحاب المعرفة العدد26
السنة 5 مارس، أفريل 2002 ص ص 26–37

أنشطة تأليفيّة

أ– سئل محمود المسعدي : أي الأدباء القدماء والمُحْدَثين تؤثرونه ؟

أجاب - أبا الفرج الإصبهاني وأبا حيّان التّوحيدي وأبا العلاء المعرّي من أدباء العرب وعمر الخيام من الفرس و"إسْخيلو" و"أوربيد " من اليونان و" شكسبير" من الإنقليز و"رسين" من الإفرنج من القدماء. أمّا المحدثون فكثير منهم النّرويجي " أبسان" والرّوسي "دستويفسكي" والألمانيان "نيتشه" و"جوته" والفرنسيّون "فاليري" و"جيرودو" و" سانت إكسوبري" و "مالرو" والعربيان الشّابي وبعض توفيق الحكيم... الخ.

تأصيلا لكيان ط 1979 ص 43

أين تجد صدى لهؤلاء في رواية حدّث أبو هريرة قال أو للبعض منهم ؟

ب - ناقش الأراء الآتية مؤيدا أو مفنّدا بالحجة والدليل .

*فإذا لم يكن من فَضْلٍ للفعل غير كشف الذّات وحدودها وإمكاناتها فقد كفى. وبذلك يثبت لدينا أنّ أدب المسعدي أدبُ صراع وإرادةٍ بقطع النّظر عن النتائج العاجلة. فالفعل وإن بدا عقيما فلا بدّ أن يثمر في يوم من الأيّام.

محمود طرشونة

*تبدأ نصوص المسعدي على اختلافها ملاحِمَ تُشيد بقوة الإنسان وتنتهي مأسي توكّد حدود تلك القوّة. **توفيق بكار**

*لم تكن رحلة أبي هريرة الرّوحية عبثا : إنّما مكّنته من كشف الذّات ومعرفة الصّفات. **محمود طرشونة**

*فأبو هريرة إنسان يعاني انفصاما حضاريا وانفصاما فكريا وانفصاما نفسيا فيكون بذلك أحسن من جسّم الإنسان المُنْبت، كان أدرك آنْبتاتَهُ في لحظة من لحظات حياته فسعى إلى التخلّص منه ولكنّه كان كلما وجد جزءا من ذاته إلا وفَقَدَ جزءا آخر. وفي نهاية مسيرته وصل إلى حلٍّ زاده انبتاتا على انبتات. **الحفناوي الماجري**

* خواتم المسعدي في كامل أثاره متشابهة كلّها تعتمد معني واحدا : " الجواز" في شكل غامض إلى عالم آخر لا نعرف أين يقع. **توفيق بكـار**

* تلك إذن مخاطر الفردية كما تظهر في وظائف أعمال أبطال المسعدي. فكلّهم فشلوا مؤقّتا لأنّهم اختاروا " الأنا" عوض "نحن". **محمود طرشونـة**

* ليس أبو هريرة إلاّ تجسيما لإنسان لم يعش في الوجود إلا تجارب ذهنيّة مجرّدة أبعدته كلّ البعد عن الواقع المادّي وزينت له الحياة في محاولات ذهنيّة تجد روحها الزّائفة بين صفحات الكتب. **الحفناوي الماجري**

اختبـــارات

I - مقـالات

1] صدَّر محمود المسعدي " حديثَ الوضع " بفاتحة لأبي حيان التوحيدي يقول فيها : " ... لأنّه قد صحّ أنّ شأن الحسّ أنْ يورث المَلال والكَلال ويَحمل على الضَّجَر والانقِطاع". حلّل هذه القولة مبيّنا مَلَل أبي هريرة من تجربة الحسّ والحلّ الذي ارتضاه واطمأن إليه. **شهادة البكالوريا – جوان** 1986 –

2] ... حدَّث ابنُ مسلمةَ السعديّ قال : كان أبو هريرة كالماء يجري، لم نقف له في حياته على وَقْفةٍ قطّ كالمستعدّ إلى الرحيل لا ينقضي عنه الرحيل." حلّل بواعث الرحيل ومظاهرَه وأبعادَه عند أبي هريرة من مسيرته الوجودية معتمدا في ذلك على شواهد دقيقة. **شهادة البكالوريا – جوان** 1985 –

3] دخل أبو هريرة تجربة الجماعة مُشتاقا إلى العدد وخرج منها ناقما على بني الإنسان. حلّل مظاهرَ هذا التحوّل وأسبابَه مدعما رأيك بأدلة من الأثر. **شهادة البكالوريا – جوان** 1989 –

4] إن قيمة كتاب " حدّث أبو هريرة قال ..." لا تظهَر في القضايا الفكريّة التي يطرحها بل تظهر في بنيته الروائية المتفرّدة ولغته الرمزيّة الموحية. بيّن مدى صحّةِ هذا الرأي معتمدا شواهد من الأثر. **شهادة البكالوريا – جوان** 2002 –

II - تحليل نصّ

النّـــصّ

" فارْجع البَصرَ هَلْ ترَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ البصرَ كَرَّتيْن يَنْقَلبْ إِليْكَ البصرُ خَاسِئا وهو حَسِيرٌ " قرآن

حدث أبو إسحاق عمرُو بنُ زيادة السعدي قال : خرج أبو هريرة مشْرِقا، فضربَ في الأرض زمنا، ثم ردَّته علينا بعضُ قوافل الغربِ كثيرَ الغبار فانِي العصَا، فسألناه في رحلته فابتسم وقال : لو كنتمْ عِشْتُمْ في مستقبل الدهر لقرأتم ما سيكتبُه ابنُ بطوطةَ من خرافات الصِبيان، وكان يقول : لقد ماتت الجهاتُ الستُّ أو يقول : مَنْ ضاعتْ قبلتُه فَلْيَسِرْ ولا يطلبْ شرقا ولا غربا. فكأنّما ضَاقتْ عنه الدّنيا وفاضَ عنها أو وَقَعَ عليها فأفناها.

محمود المسعدي حدث أو هريرة قال ... (حديث العمى)

الأسئلـة :

– ضِع النصّ في إطاره من تجربة أبي هريرة الوجودية.
– أبرز العلاقةَ بين شكل الرحلة ومضمونِها مركّزا على تطوّر شخصيةِ أبي هريرة فيها.
– ما هي النهاية التي وصل إليها أبو هريرة في رحلته ؟ وبِمَ تفسّر ذلك ؟
– ادرس هيكلَ النصّ مُبرزا مدى خدمته للمحتوى. **شهادة البكالوريا – جوان** 1984 –

ملاحظة : راجع تحليل هذا الحديث في عدد خاص عن مَحمود المسعدي من مجلّة الحياة الثقافية عدد 40 جانفي و فيفري 1981(للأستاذ توفيق بكّار)

II - تحليل نصّ

النّـــص

حدّثت ريحانةُ قالت : مرض أبو هريرة حتّى أشفقتُ عليه. وكنتُ لا أبرحهُ ساعةً وأبكي وأُوجَع لألمه حتّى كأنّي منه. فيهمس : إبْكِي ما لذَّ لكِ البكاءُ . ويومئ أن ضُمَّيني إليكِ. فأَضمُّه ضَمّا خفيفا، فيلقي بأذني كالحنين ويقول : وجعت أن لستِ في مثل علّتي.

ثم ذهب عنه بعضُ مرضه فدخل إلى الإبلال. سألته : هل عاد لكَ من الصّحّة ما كان ذهب ؟ قال : إنه قد استوى عندي أنْ تذهب أو تبقى، بل كِدت أختارُ العِلّة.

يمرض الناسُ يا ريحانةُ فيطلبون الشِفاءَ، فيثقل المرض فيضني فيذهب سُدًى . وقد طلبتُ الشفاء مثلهم ساعةَ مرض الأولى. ثم وجدتُ في علّتي ما لم أَجِدْهُ في الصّحّة وتمتْ لي بها حياتي، فخَشِيتُ أن تعاودني الصّحّة والاستقامة فأموت. كذا نحنُ. ولعلّه لا يبلغ العلةَ من الناس إلاّ القليلُ. قلتُ : وهل في العِلّة غيرُ الإمْحال لا تكون الحياة أبدعَ مما تكون بين العدم والكيان، ولا أقربَ من طمأنينة السعيد .

قالت ريحانةُ : ثمّ ابتسم وسكن. فنظرتُ فإذا دموعُه كقَطْرِ النَّدى على خدِّه وقال : آلمني أن يكون نصفُ متاع الدنيا في حالٍ لا يصيبها الإنسانُ إلا حينًا بَعْدَ حين، إذا سَلِمَ من كثافة الصّحّة. وضَممتُه إليّ وضمنّي إليه . رحم الله أبا هريرة.

محمود المسعدي حدث أو هريرة قال (حديث الحسّ) ط 2000/ ص79/77

حلّـل هذا النّـصّ

بِيبلِيُغرافيا موجزة

1 – **بكّار توفيق** : أوجاعُ الإفاقة على التاريخ العاصِف : تقديم لحدّث أبو هريرة قـال... دار الجنوب للنشر تونس ط2000 ص ص 15–38.

2 – **بكّار توفيق** : عِمران في مرآة إخوته أو فنّ التّنويع في قصّة الإنسان. قراءة قَدَّمَ بها صاحبها "من أيام عمران". دار الجنوب للنشر تونس ط2002 ص ص 27–41.

3– **بكّار توفيق** : **قصصِيات عربيّة. دار الجنوب للنشر تونس** 2001.

4 – **طرشونة محمود** : الأدب المُريد في مؤلّفات محمود المسعدي ط1/1996.

5 – **طرشونة محمود** : مباحث في الأدب التّونسي المعاصر.ط2/1997.

6 – **الأخضر فاطمة** : خصائص الأسلوب في أدب المسعدي ط1/تونس 2002.

7– **الماجري الحفناوي** : المسعدي من الثورة إلى الهزيمة في حدّث أبو هريرة قال... ط2/تونس1981–ط3/1985.

8 – **قيسومة منصور**: الوجود والبعث فـي حدّث أبو هريرة قـال...واللّصّ والكـلاب. دار سـحر تونس 1999.

9 – **اليعلاوي محمد** : الشّكل في "حدّث أبو هريرة قال.."حوليات الجامعة التونسية العدد12 السنة 1975.

10 – **مجلة الحياة الثّقافية** (تونس)

أ– عدد خاصّ بالمسعدي.جانفي -فيفري 1981

ب– عدد 31 .1984–عبد العزيز الهاني: كيف كان أبو هريرة بطَلَ أحاديث المسعدي .ص ص 56–60 .

ج– العدد53/1989 ص ص 34/43. خالد الغربي : وظيفة المحدّث فـي حدّث أبو هريرة قـال...

د– العدد161/2005 . جانفي 2005 : محمود المسعدي في حِوَار فريد خاصّ

11– **مجلّة رحاب المعرفة** (تونس)

أ–العدد26.السنة 5. مـارس – أفريل 2005 . عدد ممتـاز : محمود المسعدي في عيون النّقّاد.

ب– العدد54 السنة 9. نوفمبر ديسمبر 2006. فتحي الجميل : قراءة في حديث العمى.